السر ادون راي لانكستر

(١٨٤٧ — ١٩٢٩)

خليفة هكسلي — بطل المذهب الداروني — رسول : العلم قوة

توفي في الاسبوع الثالث من شهر اغسطس الماضي عالم انكليزي من اعظم علماء الحيوان في هذا العصر وندٌّ من انداد العلماء العظام الذي ظهروا في الثلث الاخير من القرن الماضي كالسر تشارلس ليل والسر دافيد برويستر وهكسلي وتدل واون وفرنكلند وستوكس وغيرهم. عالم اتخذ مملكة الحيوان ميداناً لبحثه فلم يصوّب اشعة فكره الى موضوع من موضوعاتها الا غمرهُ بالنور وكشف فيه عن حقائق لم تتجل لغيره من قبل. ان مكتشفاته في عالمي البكتيريا والبروتوزوى (ادنى انواع الاحياء من نبات وحيوان) جعلت اساساً بني عليه جانب من الصرح العلمي الجديد . ومباحثهُ في علم الاجنة وبراعتهُ في وصف الحيوانات وتعيين مراتبها كانت مرحلة ارتقاء صحيح في تاريخ هذين العلمين . اضف الى ذلك انهُ قد انقضى عليه نصف قرن وهو اشد انصار المذهب الداروني شكيمة وارسخهم حجة كما انهُ كان رسولاً بليغ البيان يذيع بين الناس ان العلم قوة لا غنى عنهُ لامة في هذا العصر

وُلد المترجم في لندن في ١٥ مايو سنة ١٨٤٧ وكان ابوه الدكتور ادونْ لانكستر كاتباً مجيداً اشتهر بكتاباته العلمية . فنشأ الفتى في بيت علم وفضل . وتلقى العلم في مدرسة سانت پول ثمَّ في كلية دونتج بكمبردج ففي كلية كرينست باكسفرد . فأظهر ميلاً الى العلوم البيولوجية ونبوغاً فيها . وكانت باكورة مكتشفاته العثور على اول حيوان طفيلي عُثر عليه في الكريات الحمراء في دم الانسان . كان ذلك سنة ١٨٧١ وهو في الرابعة والعشرين من عمره . فبني على هذا الاكتشاف البديع كثير من المباحث الطبية النظرية والعملية . وأشهر الامثلة على ذلك الكشف عن الحيوانات التي تسبب الحمى الملارية . فهي طفيليات تتصل بكريات الدم الحمراء وتتكاثر فيها . فذاعت شهرته العلمية في الخافقين ودعتهُ الكليات والجامعات للتدريس فيها فشغل مناصب تعليمية مختلفة في لندن وادنبرج واكسفرد . وظل استاذاً للحيوان وتشريح المقابلة في كلية الجامعة بلندن من سنة ١٨٧٤ الى ١٨٩٠ ثم شغل منصب استاذ تشريح المقابلة في جامعة اكسفرد سنة ١٨٩١ — ١٨٩٨ وبعدها عيّن مديراً لمتحف التاريخ الطبيعي بسوث كنسنجتون بلندن وظل متقلداً ادارتهُ الى سنة

السر ادون راي لانكستر
١٨٤٧—١٩٢٩

مقتطف اكتوبر ١٩٢٩
امام الصفحة ٢٦٩

١٩٠٧ فازدهر المتحف في عهده واتسع نطاقهُ حتى صار يحسب من امجاد المعاهد العلمية في انكلترا . كذلك ظل ستين استاذاً للفسيولوجيا وتشريح المقابلة في المعهد الملكي بلندن (١٨٩٨ — ١٩٠٠) . وانتخب سنة ١٩٠٦ رئيساً لمجمع تقدم العلوم البريطاني الذي اجتمع في يورك فخطب فيه خطبة الرآسة واختار موضوعاً لها « العلم في ربع قرن بسط في مطلعها ما يمكن ان نحسبهُ خلاصة فلسفته العلمية . قال :

« اذا اردنا ان نراجع مقدار تقدم العلوم في الخمس والعشرين السنة الماضية وجب علينا على ما اظن ان نميز بين نوعين من التقدم . وهذان النوعان كانا نصب عيون الذين انشأوا هذا المجمع . لقد الف فرنسس باكون كتاباً سماه تقدم العلم بحث فيه عن الاساليب التي تتقدم بها المعارف وعن كيفية جعل المعارف مفيدة لنوع الانسان ولارتقاء العمران حتى يهتم بها جمهور الناس كما يهتم بها رجال العلم انفسهم . . . ولذلك اذا اردنا ان نراجع مقدار تقدُّم العلوم في الخمس والعشرين السنة الماضية وجب ان لا نقتصر على ذكر الحقائق التي كشفت حديثاً والآراء والتصورات التي شاعت بل ان نسأل ايضاً عن التقدم الذي تقدَّمهُ العلم في كونهِ صار من المواضيع التي يشتغل بها الناس بنوع عام . فهل عندنا ما يدلُّ على زيادة تأثير العلم في معيشة السكان وفي سياسة البلاد . وهل نحن مهتمون بما يلزم لترقية العلوم حسبما تستدعيه احوال الزمان وباستخدام الرجال الاكفاء الذين تمرَّنوا على المباحث العلمية لكي تنتفع بهم البلاد ؟ »

ولم تحُلْ اعمالهُ الرسمية ومباحثهُ العلمية الكثيرة بينهُ وبين القلم . فقد كان كاتباً علميًّا مجيداً يصف الحقائق العلمية وصفاً يقرّبها الى الاذهان من غير ان يتهاون في دقة التعبير او يحيد عن النهج العلمي الصحيح . انشأ سنة ١٨٦٩ اي لما كان في الثانية والعشرين من عمره « مجلة العلم المكرسكوبي » وقام باعباء تحريرها . وظلَّ يكتب الى اواخر ايامهِ فصلاً علميًّا اسبوعيًّا في جريدة الديلي تلغراف موضوعهُ العام « العلم من كوسي مربع » وقد جمعت اكثر هذه الفصول في كتابين بهذا العنوان وفيهما يقع الطالب على وسائل طريفة في موضوعات علمية لا يحيط بها ولا يفيها حقها الا المتفرغ للعلم المتعمق في نواحيهِ المختلفة . هذا الى صفاء في الفكر وبلاغة في التعبير . وقد عني عناية خاصة بالوقوف على مذكرات هكسلي وطبعها ونشرها وبتفصيل آراء صديقهِ متشكوف . ومن اشهر كتبهِ « العلم والتعليم » . « كبار الاشياء وصغارها » . « اسرار الارض والبحر » . « تسليات طبيعي » : وغيرها . وقد اشتهر خطيباً علميًّا بسلسلة من المحاضرات القاها على جمهور من الاحداث موضوعها « الحيوانات المنفرضة »